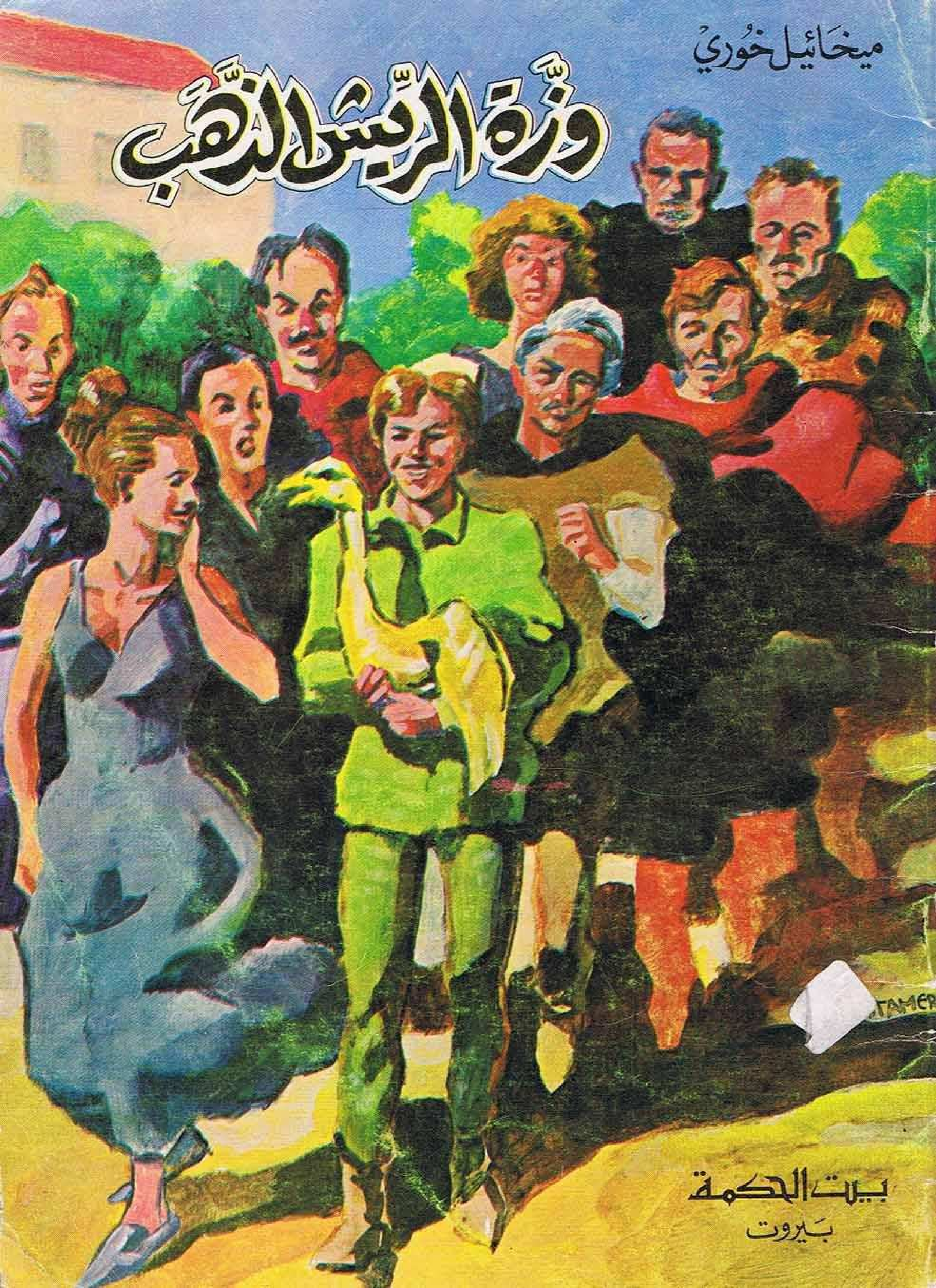

ميخائيل خوري
وزة الريش الذهب
TAMER
بيت الحكمة
بيروت

هاتان القصّتان مقتَبَسَتان بتصرُّف من روائع القصّص العالمي

ميخائيل خوري

وَزَّة الرِّيش الذَّهَب

تليها قصة

قوس قزح

بيت الحكمة
بيروت

الغلاف والرسوم بريشة «ميشال تامر»

الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، آذار (مارس) ١٩٨٣

وَزَّةُ الرِّيشِ الذَّهَبِ

كانَ لرَجُلٍ ثلاثةُ أَبْناء. وكانَ أصْغَرُهُمْ طيِّباً جداً، فَظَنَّهُ الجَمِيعُ مُغَفَّلاً ناقِصَ العَقْلِ. لذَلِكَ كان أَخواه يَسْخَرانِ مِنهُ ويَهْزَآنِ به. فكانا لا يَتْرُكانِ مُناسَبَةً تَمُرُّ من غيرِ أن يُظْهِرا له استِخْفافَهُما به وقِلَّةَ احترامِهِما له. كما أنَّهُ لم يَسْلَمْ حتَّى مِـن سُخْـرِيَـةِ والدَيـهِ القـاسِيَـةِ.

وفي ذاتِ يَومٍ أَرادَ الآبْنُ الأكبَرُ أن يَذْهَبَ إلى الغابِ ليَقْطَعَ بعضَ الحَطَبِ. فأَعدَّتْ لهُ والدَتُه زادَهُ مِن بَيْضٍ مَقْلِـيٍّ، وبَطاطا مَسْلُوقَةٍ، وزَيْتُونٍ، وحَلْوَى، ووَضَعَتْ له زُجاجَةَ ماءٍ باردٍ مُنْعِشٍ. وما إنْ وَصَلَ الشَّابُّ إلى الغابَةِ حتَّى لَقِيَهُ رَجُلٌ صغيرٌ، أَبْيَضُ الشَّعْرِ، مُتَقَدِّمٌ في السِّنِّ، فحَيَّاهُ بأَدَبٍ، وطَلَبَ منه شَيْئاً من الطَّعامِ والماءِ لِسَدِّ جُوعِهِ وإِرْواءِ عَطَشِهِ.

ولكنَّ الشَّابَّ طَرَدَه بغَضَبٍ، ورَفَضَ أن يُقَدِّمَ له أيَّ طَعامٍ أو ماءٍ، كي لا يَحْرِمَ نَفْسَهُ من لُقْمَةٍ أو جُرْعَةٍ منَ الزَّادِ الذي حَمَّلَتْهُ

إِيَّاهُ والدتُه. ثُمَّ واصَلَ سَيْرَهُ غيرَ مُبالٍ.

وما إنْ بَدَأَ بقَطْعِ الحَطَبِ حتَّى أَخْطَأَ الشَجَرَةَ بفَأْسِهِ، فأَصابَ يَدَهُ بالفَأْسِ وجُرِحَ جُرْحاً عَميقاً. ولِلْحالِ عاد إلى بَيْتِهِ ليُداوِيَ جُرْحَهُ، وهُوَ شَديدُ الأَلَمِ.

* * *

وفي اليَوْمِ التَّالي خَرَجَ الآبْنُ الثَّاني إلى الغابِ مُزَوَّداً بزادٍ طَيِّبٍ أَعَدَّتْهُ له والدَتُه. ولمَّا وَصَلَ إلى الغابِ جاءَهُ الرَّجُلُ الصَّغيرُ، الأَشْيَبُ الشَّعْرِ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أنْ يُحْسِنَ إليه بقليلٍ منَ الطَّعامِ والماءِ. ولكنَّ الشَّابَّ تابَعَ سَيْرَهُ غيرَ مُبالٍ بتَوَسُّلِ الرَّجُلِ المُسِنِّ، وبيَدِهِ المَمْدُودَة. وما كادَ الشَّابُّ يَرْفَعُ فَأْسَه ليَضْرِبَ بها الشَّجَرَةَ حتَّى نالَ عُقُوبَةَ بُخْلِهِ، إذ أَصابَتِ الفَأْسُ ساقَهُ بدلاً من أن تُصيبَ ساقَ الشَّجَرَةِ. فاضْطُرَّ للعَوْدَةِ إلى البَيْتِ لتَنْظيفِ جُرْحِهِ وتَضْميدِه.

* * *

وفي اليَوْمِ الثَّالِثِ جاءَ الآبْنُ الأَصْغَرُ أَباهُ، ورَجاهُ أن يَسْمَحَ له بالذَّهابِ إلى الغابِ لقَطْعِ الحَطَبِ. فضَحِكَ مِنْهُ والدُه وقالَ له:

ـ أَلَسْتَ تَرَى ما أَصابَ أَخَوَيْكَ؟ أَنْتَ لا تَعْرِفُ أن تَقْطَعَ

الحَطَبَ! دَعْكَ من هذا الأَمْرِ، واذْهَبْ عَنِّي!

ولكنَّ الفتى أَصَرَّ على طَلَبِـه راجياً مُتَوَسِّلاً، فَوَجَدَ أَبوهُ أنْ لا مَهْرَبَ له منَ السَّماحِ له بالذَّهابِ إلى الغاب. عندَ ذاكَ هَيَّأَتْ له أُمَّهُ زاداً، ولكنَّها لم تَضَعْ فيه غيرَ القَليلِ منَ الطَّعامِ والماءِ.

وما إن بَلَغَ الشَّابُّ الغابَ حتَّى لَقِيَهُ الرَّجُلُ الصَّغيرُ، الأَشْيَبُ الشَّعْرِ، كما لَقِيَ أَخَوَيْهِ في اليَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ. فَحيَّاهُ، ثُمَّ قالَ له:

ـ يا بُنَيَّ، أَتَجُودُ عليَّ بقَليلٍ منْ زادِكَ، وبنُقْطَةٍ من مائِكَ؟ إنَّني جائعٌ ظامِئٌ!

وبسُرْعَةٍ، ومن غيرِ تَرَدُّدٍ، جَلَسَ الشَّابُّ على الأَرْضِ، ومَدَّ زادَهُ أَمامَه، ودَعا الرَّجُلَ لـمُشارَكَتِه ما فيه، مُعْتَذِراً منه لقِلَّةِ ما يَحْمِلُه من طَعامٍ وماءٍ. وجَلَسَ الرَّجُلُ بجانِبِه لتَناوُلِ الطَّعام. وفَجْأَةً رأى الشَّابُّ مَنْظَراً عَجيباً: فقَدْ زادَ مِقْدارُ الطَّعامِ وتَعَدَّدَتْ أَصْنافُهُ، وكَثُرَ الماءُ حتَّى فاضَ. فأَكَلَ الاثْنانِ وشَرِبَا حتَّى شَبِعا. عِنْدَ ذاكَ قالَ الرَّجُلُ الأَشْيَبُ الشَّعْرِ:

ـ لَقَدْ كُنْتَ، يا بُنَيَّ، طَيِّبَ القَلْبِ، فأَشْرَكْتَني في طَعامِكَ ومائِكَ. لذَلِكَ سأُبادِلُكَ هذهِ الطَّيْبَةَ بمِثْلِها، وأَجْزيكَ خَيْراً بخَيْرٍ.


M.TAMER83

أُنْظُرْ إلى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الكَبيرَةِ، هُناكَ... أَتَراها ؟ إذْهَبْ واقْطَعْها، وسَتَجِدُ في جِذْعِها شَيئاً كَبيرَ القِيمَةِ.

إسْتَغْرَبَ الشّابُّ هذا الكَلامَ. ولكِنَّهُ لَمْ يَتَرَدَّدْ، بل قامَ من مَكانِهِ ومَضى إلى الشَّجَرَةِ... وبِضَرْبَةٍ واحِدَةٍ مِنْ فَأْسِهِ قَطَعَها... ووَقَفَ يَنْتَظِرُ... ولَمْ يَطُلْ به الانْتِظارُ، إذْ خَرَجَتْ لهُ فَجْأَةً، مِنْ جِذْعِ الشَّجَرَةِ، إوَزَّةٌ رائِعَةُ المَنْظَرِ، غَريبَةُ الشَّكْلِ، ذاتُ رِيْشٍ مِنْ ذَهَبٍ! فاقْتَرَبَ مِنْها الشّابُّ بِحَذَرٍ أَوَّلَ الأَمْرِ، ثُمَّ تَجَرَّأَ فَحَمَلَها بِلُطْفٍ وحَنانٍ، فاسْتَسْلَمَتْ واطْمَأَنَّتْ بينَ يَدَيْهِ...

ونَظَرَ إلى الوَراءِ، إلى حَيْثُ كان يَجْلِسُ، فإذا بالرَّجُلِ الأَشْيَبِ الشَّعْرِ قدِ اخْتَفى!

وفَكَّرَ في نَفْسِهِ: «لَقَدْ أَصْبَحْتُ واسِعَ الغِنَى بفَضْلِ هَذِهِ الإوَزَّةِ! وأنا الآنَ أَسْتَطيعُ أن أَحصُلَ على ما أُريدُ...» ثُمَّ قَرَّرَ أن يَذْهَبَ إلى المَدِيْنَةِ بَدَلاً منَ العَوْدَةِ إلى البَيْتِ، وأن يَقْضِيَ لَيْلَتَهُ في أَحَدِ الفَنادِقِ القَرِيْبَةِ منه. وهَكذا كانَ.

* * *

وكانَ لصاحِبِ الفُنْدُقِ ثَلاثُ بَناتٍ. ولَـمّا وَقَعَتْ أَنْظارُهُنَّ على الإوَزَّةِ تَعَجَّبْنَ منْ رِيْشِها الذَّهَبِيِّ، وتَمَنَّيْنَ أنْ يَنْتَزِعْنَ بَعْضَ هذا


M.TAMER 83

الرِّيشِ . لذلِكَ رُحْنَ يَنْتَظِرْنَ غِيابَ الشَّابِّ حتَّى يَقُمْنَ بهذا العَمَلِ .

وخَرَجَ الشَّابُّ منَ الفُنْدُقِ يَتَمَشَّى في الحَدِيقَةِ، فدَخَلَتِ الفَتاةُ الكُبْرى، وأَمْسَكَتِ الإوَزَّةَ بشِدَّةٍ، وحاوَلَتْ أن تَسْحَبَ رِيشَةً من رِيشِها. غيرَ أنَّها وَجَدَتْ أَصابعَها تَلْتَصِقُ بالجَناحَيْنِ ، ولَمْ تَتَمَكَّنْ من الإفْلاتِ مِنْها ! ولَحِقَتْ بها أُخْتُها الثَّانِيَةُ لتَأْخُذَ رِيشَةً، لكِنَّها ما كادَتْ تَلْمُسُ الإوَزَّةَ حتَّى عَلِقَتْ بِها كما عَلِقَتْ أُخْتُها .

ثُمَّ جاءَتِ الأُخْتُ الثَّالِثَةُ، فَحَذَّرَتْها أُخْتاها من لَمْسِ الإوَزَّةِ. ولكِنَّها لم تُبالِ بتَحْذيرِهما، بلِ انْدَفَعَتْ نَحْوَ الطَّائِرِ تَنْتَزِعُ مِنْهُ رِيْشَةً، فالْتَصَقَتْ يدُها بها. وهَكَذا وَجَدَتِ الشَّقيقاتُ الثَّلاثُ أَنْفُسَهُنَّ عالِقاتٍ بالإوَزَّةِ، فكانَ عَلَيهِنَّ أن يَقْضِينَ اللَّيْلَةَ على هذهِ الحالِ .

* * *

ولـمَّا عادَ الشَّابُّ إلى غُرْفَتِهِ ورأى هذا المَشْهَدَ حارَ في أَمْرِ الفَتَياتِ. ولكِنَّهُ لم يَتَمَكَّنْ من تَخْليصِهِنَّ منَ الإوَزَّةِ. وفي الصَّباحِ الباكِرِ حَمَلَ الإوَزَّةَ وسارَ بها ، غَيْرَ مُهْتَمٍّ بالبَناتِ الثَّلاثِ اللَّواتي سِرْنَ مَعَه ، مَرَّةً عن يَمينِهِ وأُخْرَى عن شِمالِهِ، وهُنَّ يَتَمايَلْنَ هُنا وهُنا كُلَّما تَحَرَّكَتِ الإوَزَّةُ في يَدَي صاحِبِها.

وفي الطَّريقِ رأى أَحَدُ رجالِ الدِّين هذا المَشْهَدَ، فوبَّخَ البَناتِ الثّلاثَ على جَرْيِهِنَّ معَ الشّابِّ. ثُمَّ تَقَدَّمَ مِن صُغْراهُنَّ يَشُدُّها إلى الوَرَاءِ، ولكِنَّهُ عَلِقَ بها ووَجَدَ نَفْسَهُ يَسيرُ كالبَناتِ الثّلاثِ وَراءَ الشّابِّ الذي يَحْمِلُ الإوَزَّةَ الذَّهَبِيَّةَ!

وبَعْدَ دَقائِقَ مَعْدُودَةٍ الْتَقَتْ هذهِ المَجْمُوْعَةُ أَحَدَ مُعَاوِني رَجُلِ الدِّينِ، فأَدْهَشَهُ هذا المَنْظَرُ الغَريبُ! وساءَهُ أن يرَى رَجُلَ الدِّينِ يَعْدُو وَراءَ الفَتَياتِ الثّلاثِ، فصَرَخَ في وَجْهِهِ:

- قِفْ! إلى أَيْنَ تَجْري بِمِثْلِ هذهِ السُّرْعةِ؟ هَلْ نَسِيْتَ الصَّلاةَ التي يَجِبُ أَن تُقِيمَها هذا المَساءَ؟

وأَسْرَعَ إلى رَجُلِ الدِّينِ وأَمْسَكَ بكُمِّه ليُوْقِفَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ أَصْبَحَ مِثْلَهُ عالقاً مُنْجَذِباً، فراحَ يَمْشِي مَعَه ومَعَ البَناتِ خَلْفَ الشّابِّ والإِوَزَّةِ!

وظَلَّ الشّابُّ يُتابِعُ سَيْرَهُ وهُوَ يَحْمِلُ الإِوَزَّةَ الذَّهَبِيَّةَ، ووراءَهُ الفَتَياتُ الثّلاثُ وَرَجُلُ الدِّينِ وصاحِبُه. حتّى بَلَغَ حَقْلاً يَعْمَلُ فيهِ فَلاّحانِ. وما إنْ شاهَدَهُما رَجُلُ الدِّينِ حتّى صاحَ بهما مُسْتَغيثاً، طالِباً منهما إنْقاذَهُ وإنْقاذَ مَنْ مَعَه. ولَبّى الفَلاّحان طَلَبَه. ولكنْ عبثاً حاوَلا تَخْليصَه! إذْ ما كادا يُمسِكان به حتّى باتا مُعَلَّقَيْنِ به يَجْرِيانِ

مَعَه كالآخَرينَ! وبذلِكَ بَلَغَ عَدَدُ اللاَّحِقِينَ بالشَّابِّ والإِوَزَّةِ سَبْعَةً!

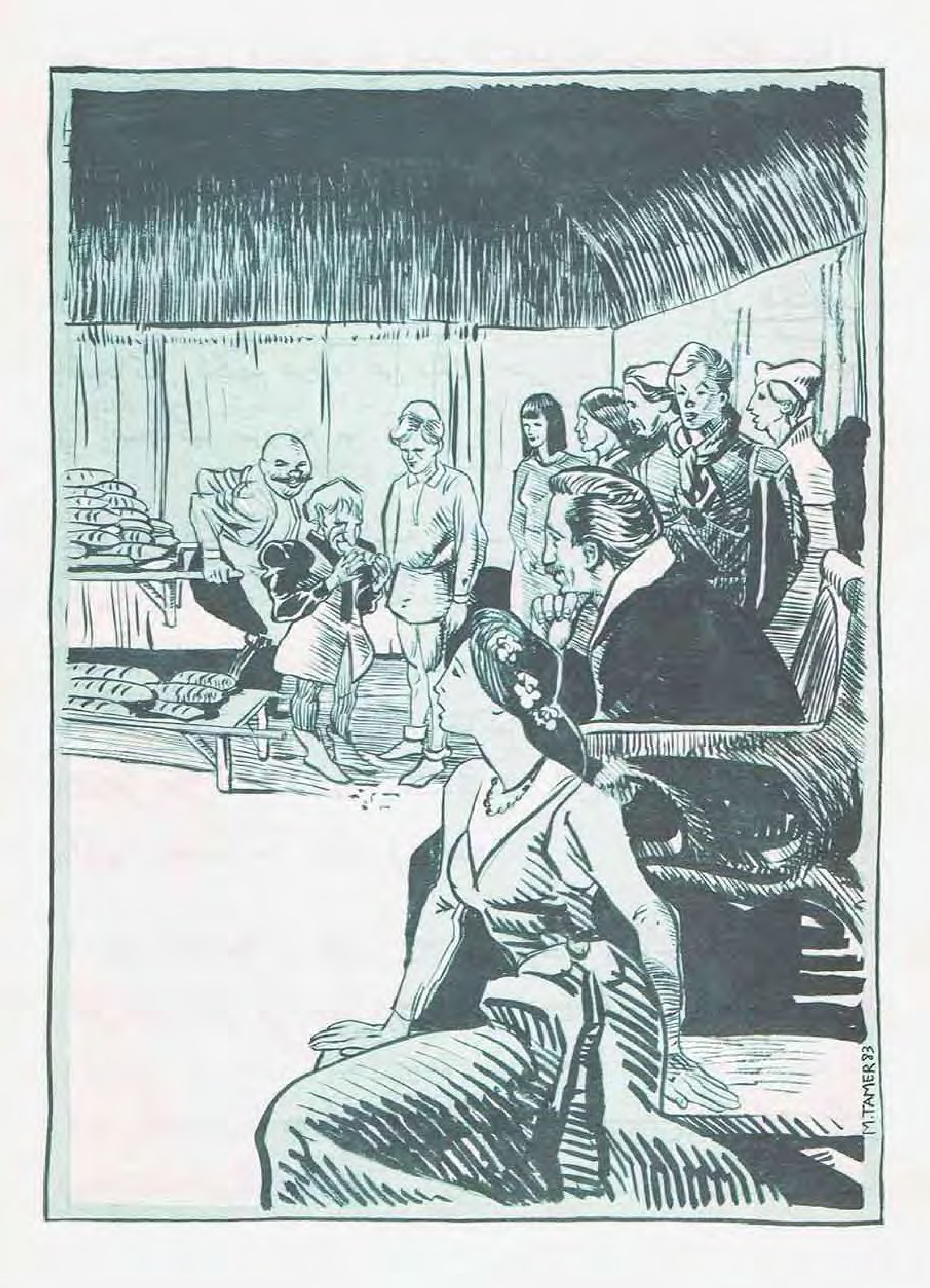
* * *

هكذَا دَخَلَ هذا الجَمْعُ المَدِينَةَ. وكانَ لحاكِمِ المَدِينَةِ ابْنَةٌ دائِمَةُ الحُزْنِ، لا تَعْرِفُ الابْتِسامَ ولا الضَّحِكَ. وقد حاوَلَ الكثِيرونَ إِضْحاكَهَا ولكِنَهُمْ عَجَزُوا عن ذلك. حتَّى إنَّ والِدَها وَعَدَ مَنْ يَنْجَحُ في إِضْحاكِها بتَزْوِيجه بها.

وسَمِعَ الشَّابُّ بقِصَّةِ ابْنَةِ الحاكِمِ فَقَرَّرَ أن يُحاوِلَ تَسْلِيَتَها وإِضْحاكَها ليَتزوَّجَها. فَتَوجَّهَ بإِوَزَّتِه إلى قَصْرِ الحاكِمِ وبرِفقَتِهِ الفَتَياتُ الثَّلاثُ، ورَجُلِ الدِّينِ، وصاحِبُه، والفَلاَّحانِ، في مَوْكِبٍ عجيبٍ! وما إنْ أطَلَّتِ ابْنَةُ الحاكِمِ من قَصْرِها وشاهَدَتْ هذا المَنْظَرَ حتَّى ضَحِكَتْ... وضَحِكَتْ... وضَحِكَ مَعَها والِدُها وأَهْلُها وجَمِيعُ مَنْ كانُوا في رِفْقَتِها.

غَيْرَ أنَّ الحاكِمَ رَفَضَ أنْ يَفِيَ بوَعْدِهِ ويُزَوِّجَ ابْنَتَه بالشَّابِّ. ولِكَي يَتخَلَّصَ من هذا الزَّواجِ قالَ للشَّابِّ:

ـ أُزَوِّجُكَ بابْنَتي شَرْطَ أن تَأْتِيَني برَجُلٍ يَسْتَطيعُ أن يَشْرَبَ الماءَ المَخْزُونَ في آبارِ قَصْري!

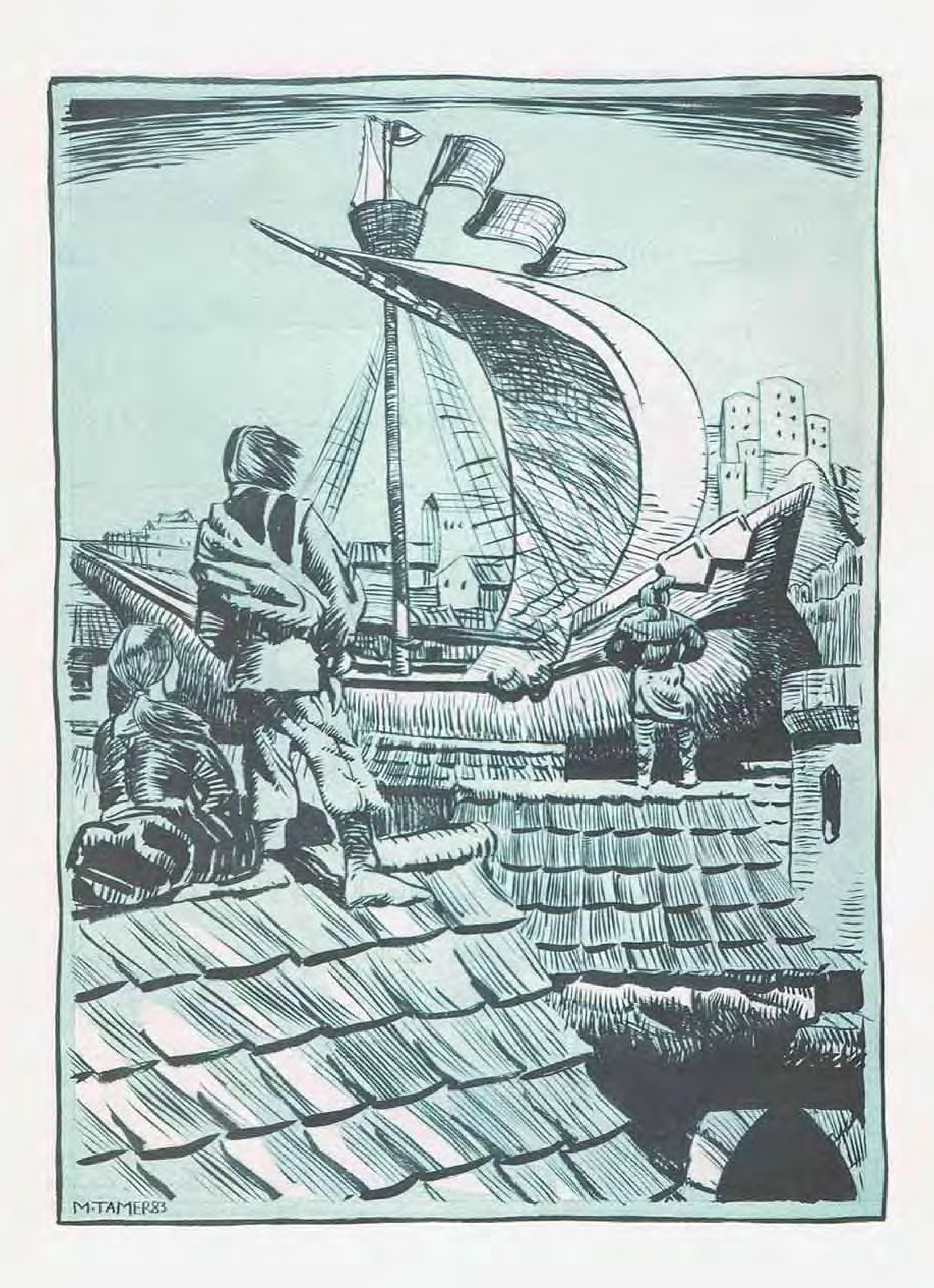

M.TAMER 83

فلم يَيْأَسِ الشّابُّ، بلِ انْطَلَقَ إلى الغابِ يَبْحَثُ عن صَديقِهِ الرَّجُلِ الأَشْيَبِ لِيُساعِدَه. فَوَجَدَه حَيْثُ لَقِيَهُ في الـمَرَّةِ الأُولَى، وقد بَلَغَ به العَطَشُ حَدّاً لا يُوصَفُ! فَرَوَى له قِصَّتَه، وأَخَذَه مَعَهُ إلى قَصْرِ الحاكِمِ. وهُناكَ شَرِبَ الرَّجُلُ الأَشْيَبُ الماءَ الـمَخْزُونَ كُلَّه وكَأَنَّهُ يَشْرَبُ جُرْعَةً بَسِيطَةً!

ومَرَّةً أُخرى تَهَرَّبَ الحاكِمُ من وَعْدِهِ، وحاوَلَ إِبْعادَ الشّابِّ عن ابْنَتِه. فَطَلَبَ منه أن يَأْتِيَهُ بِمَنْ يَسْتَطيعُ أن يَأْكُلَ كُومَةً كَبيرَةً من الخُبْزِ. وما إن سَمِعَ الرَّجُلِ الأَشْيَبُ هذا الشَّرْطَ حتّى أَقْبَلَ على الخُبْزِ فابْتَلَعَهُ بلَمْحِ البَصَرِ!

غَضِبَ الحاكِمُ غَضَباً شَديداً لأَنَّ حِيلَتَه لم تَنْجَحْ. ولِلْمَرَّةِ الثّالِثَةِ لم يَفِ بوَعْدِهِ. فاشْتَرَطَ على الشّابِّ أن يَأْتِيَه بسَفِينَةٍ بَرْمائِيَّةٍ، تَجْري في الماءِ وتَسيرُ على البَرِّ. والْتَفَتَ الشّابُّ رَأْساً إلى الرَّجُلِ الأَشْيَبِ وهو يَقُولُ في نَفْسِه: «هذا الرَّجُلُ مَنَحَني الإوَزَّةَ الذَّهَبِيَّةَ، وشَرِبَ ماءَ الآبارِ، وابْتَلَعَ الخُبْزَ بلَمْحِ البَصَرِ. ولا شَكَّ في أَنّه يَسْتَطِيعُ أن يَأْتِيَني بالسَّفِينَةِ البَرْمائِيَّةِ!»

وقَرَأَ الرَّجُلُ الأَشْيَبُ أفْكارَ الشّابِّ، فَمَدَّ يَدَيْهِ أَمامَه، وأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وتَكَلَّمَ بِبِضْعِ كَلِماتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ. وَفَجْأَةً سُمِعَ في السّاحَةِ


M·TAMER83

صَوْتٌ قَوِيٌّ كصَوْتِ مِزمارِ السُّفُنِ. ثُمَّ ارْتَسَمَتْ في السَّاحَةِ سَفِينَةٌ عَجِيبَةٌ تَجْري في البَحْرِ كما تَجْري في البَرِّ!

* * *

هُنا أَدْرَكَ الحاكِمُ أَنَّه لَنْ يَسْتَطِيعَ التَّهَرُّبَ من الوَعْدِ الذي قَطَعَهُ على نَفْسِهِ، فأَمَرَ بأَنْ يَتِمَّ زَواجُ ابْنَتِهِ بالشَّابِّ. وأَرادَ الشَّابُّ، لِشِدَّةِ فَرَحِهِ، أن يُكافِىءَ الحاكِمَ على صَنِيعِهِ، فقَدَّمَ له الإِوَزَّةَ هَدِيَّةً. وما إن لَمَسَها الحاكِمُ حتَّى عادَتْ إِوَزَّةً عادِيَّةً، وراحَتْ تُرَفْرِفُ حَوْلَ الحاكِمِ، والفَتَيَاتِ الثَّلاثِ، ورَجُلِ الدِّينِ، وصاحِبه، والفَلاَّحَيْنِ، وهي تُقَهْقِهُ ساخِرَةً. ولكِنَّها قَدَّمَتْ إلى العَرُوسَيْنِ رِيْشَها الذَّهَبِيَّ كُلَّه...

* * *

... وانْطَلَقَ الشَّابُّ بعَرُوسِهِ إلى حَيْثُ يَقْضِيانِ حَياةً سَعِيدَةً، رَخِيَّةً، كَرِيمَةً.

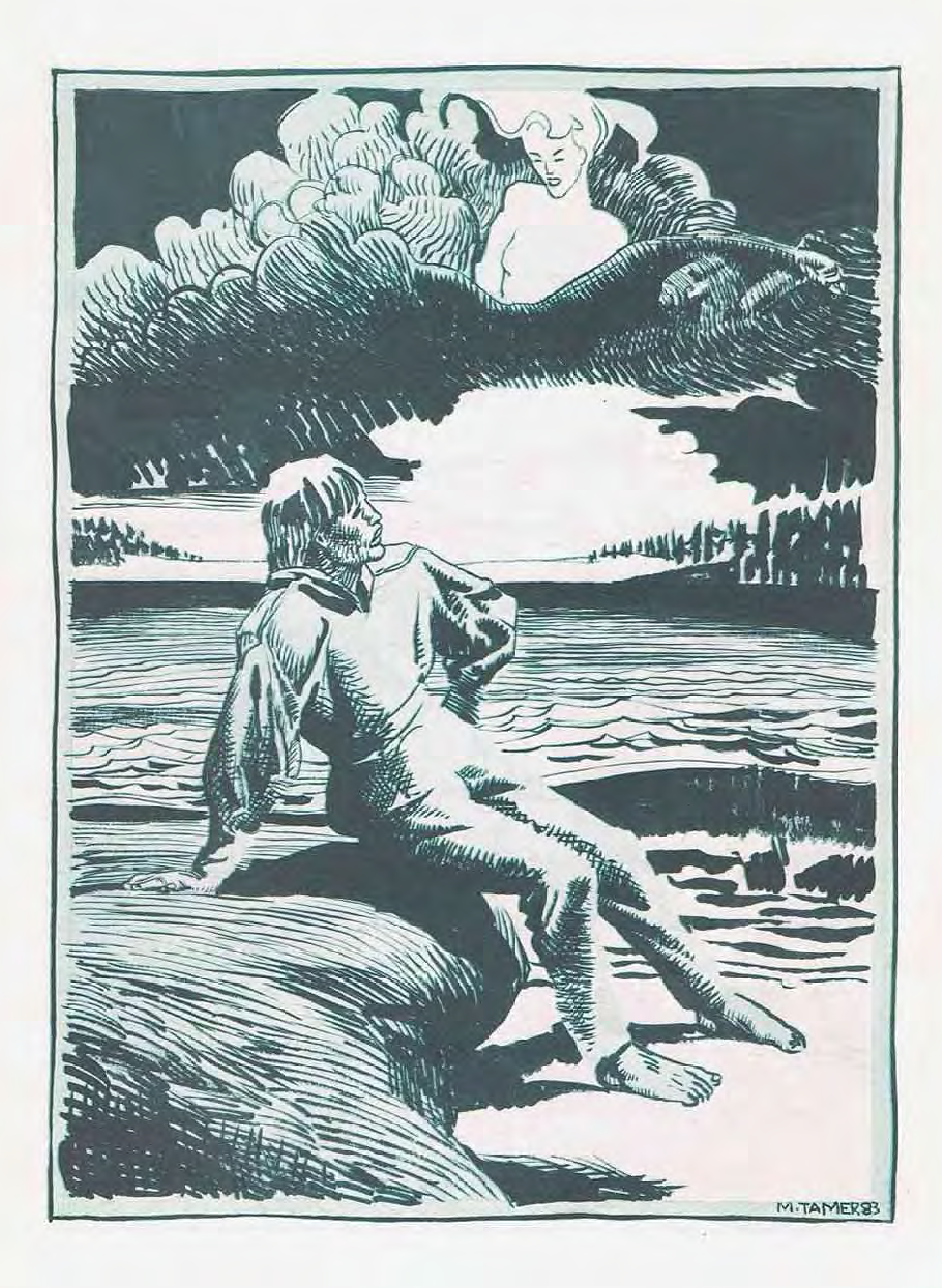

M.TAMER.83

قَوسُ قُزَح

كثيراً ما كانَ «اونوكو» يَتَمَشَّى حَوْلَ البُحَيْرَةِ عِنْدَ حُلُولِ الظَّلامِ، تاركاً خَلْفَه الصَّخَبَ والضَّجيجَ في قَرْيَتِهِ. كان يَقضي السَّاعاتِ مُحَدِّقاً بالماءِ يَشْتَدُّ سَوادُه معَ هُبُوطِ الظَّلامِ، ويُصْغي إلى حَفيفِ الأمْواجِ البَطيئَةِ على ساحِلِ البُحَيْرَةِ، ويَنْطَلِقُ في أَحْلامِهِ بعيداً... بَعيداً...

وفي إحْدَى نُزُهاتِهِ هَذِهِ رأى على مسَافَةٍ مِنْهُ ابنةَ الضَّبابِ، وشَقيقَتَها ابْنَةَ المَطَرِ، وهما تَسْبَحانِ في غُيُومٍ فِضِّيَّةٍ مُضيئةٍ. وبالرَّغْمِ منَ الغُيُومِ حَوْلَهُما، رأى الشَّابُّ أنَّ إحْداهُما هي أَجْمَلُ فَتاةٍ وَقَعَتْ عَلَيها عَيناهُ. وَفجْأَةً خالَجَهُ نَحْوَ هذهِ الفَتاةِ التي لا يعرفُها شُعُورٌ غَرِيْبٌ. أمَّا هيَ فكانَتْ تَنْظُرُ إليهِ بهُدُوءٍ، ومن غَيرِ خَوْفٍ. فمَشَى نَحْوَها على طَرَفِ السَّاحِلِ. ولـمّا وَصَلَ إلَيْها قالَ لها مُتَجَرِّئاً:

ـ إسْمي «أونوكو». وأنْتِ، مَنْ تَكُونينَ؟


M·TAMER83

فابْتَسَمَتْ لهُ الفَتاةُ ابْتِسَامةً ناعِمَةً، ساحِرةً، وأَجابَتْ بعُذوبةٍ:

ـ أنا ابْنَةُ الفَضاءِ. وأنا لا أُعْرِفُ ليَ اسْماً غيرَ هذا الاسْمِ!

وهُنا تَسَنَّى «لأونوكو» أن يراها بوُضُوحٍ: كانَتْ رَقِيقةَ الجِسْمِ، رَشِيقةَ القَوامِ. بَشَرَتُها شاحِبَةُ اللَّوْنِ قَليلاً؛ عَيْناها زَرْقاوان صافِيَتانِ كالفَضاءِ في الصَّيْفِ؛ شَعْرُها الطَّوِيلُ الفِضِّيُّ اللَّوْن مُدَلَّى على كَتِفَيْها وحَوْلَها كَأَنَّهُ ثَوْبٌ مِن حَرِيرٍ!

وَنَظَرَ إِلَيها «أونوكو» نِظْرَةَ تَوَسُّلٍ، وقَدْ أُخِذَ بحُسْنِها الغَرِيبِ، وقالَ:

ـ لا تَتْرُكِيني! برَبِّكِ لا تَتْرُكِيني! إبْقَي هُنا مَعي في عالَمِ النُّورِ هذا. إنَّني شابٌّ قَوِيٌّ، وسأَعْنى بكِ خيرَ عِنايَةٍ!

وكانَتِ الفَتاةُ قَدْ شَعَرَتْ نحو «أونوكو» بشُعُورٍ من المَيْلِ والمَحَبَّةِ يُشْبهُ شعُورَه نَحْوَها. فأَجابَتْ:

ـ ولكِنَّ شقِيقَتي تَنْتَظِرُني لنَعُودَ معاً إلى مَوْطِنِنا خَلْفَ الغُيُومِ.

فَرَدَّ «أونوكو» على الفَوْرِ وكأَنَّهُ يخافُ أن تُفْلِتَ الفتاةُ مِنْه:

ـ عَالَمُكِ واسِعٌ حَقّاً، لكِنَّهُ بارِدٌ وفارِغٌ إذا ما قِيسَ بالحَياةِ التي أَعِدُكِ بها. عالَمي مَلِيءٌ بالنَّارِ والقُوَّةِ. هُنا شَدْوُ الطُّيُورِ، هنا

الابْتِساماتُ، هنا دِفْءُ الشَّمْسِ مَدى شُهُورٍ. وإذا ما غَابَتِ الشَّمْسُ كانَتِ النَّارُ بَديلاً عَنْها. إبْقَي هُنا يا فتاتي. فأنا أُؤَكِّدُ لَكِ أنّكِ سَتَكُونِينَ سَعِيدَةً بالإقامَةِ في دُنْيايَ!

ـ ألأَشْياءُ التي تَصِفُها لي رائِعَةٌ حَقّاً. غيْرَ أَنّني لا أَسْتَطِيعُ أَن أَبْقى مَعَكَ طَوالَ النّهارِ. لَنا أَن نَقْضِيَ اللَّيْلَ مَعاً، في حَديثٍ وسَمَرٍ، غَيْرَ أَنّه لا بُدَّ لي مِنَ العَوْدَةِ إلى مَنْزِلي في الفَضاءِ عِنْدَ ظُهورِ أشِعَّةِ الشَّمْسِ. لذَلِكَ أَخْشى أنْ تَبْقى وَحِيداً كُلَّما رَحَلْتُ عَنْكَ، وأن تَشْعُرَ بالحُزْنِ والشَّقاءِ.

ـ أَقْبَلُ أن نَسْهَرَ معاً في اللَّيلِ، وأَبْقى وَحِيداً بِضْعَ ساعاتٍ في النَّهارِ، على أَنْ أَفْقِدَكِ مَدَى الحَياةِ!..

* * *

وهكذا كانَ... راحتِ ابْنَةُ الضَّبابِ تَأْتي إلى بيتِ «أونوكو» كلَّ لَيلةٍ عندَ حُلولِ الظَّلامِ. وكانَ يَرْوي لها قِصَصاً شَيِّقَةً عن عالَمِه. وكانت تُحَدِّثُهُ عن عالَمِها الآخَرِ السَّاحِرِ. كانا في غايةِ السَّعادَةِ.

وكُلَّما أطَلَّتِ الشَّمْسُ من وَراءِ التِّلالِ كانتْ شقيقَتُها ابْنَةُ المَطَرِ تُنادِيها، فَتَقْطَعُ ابْنَةُ الضَّبابِ زيارتَها «لأونوكو» وتَخْرُجُ، فتَتَّحِدُ الفتاتان كما تَتَلاصَقُ غَيْمَتانِ، وتَصْعَدانِ إلى الأَعْلَى، وتَخْتَفِيانِ وَراءَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ.


M.TAMER 83

أمّا «أونوكو» فكانَ يَبقى وَحيداً، حَزيناً، بعدَ رَحيلِ صَديقتهِ.
وكان يَطْرُدُ عنهُ تعاستَه بأن يَقُصَّ على رُفَقائه حكايَته الحُلْوَةَ، وأَخبارَ لِقائه مع عَروسِهِ الجميلةِ، وفي بِدايةِ الأَمرِ أصغى إليه أقرانُه لُطفاً به، وشَفَقةً عَليهِ، لأَنَّه كان وَحيداً لا قَريبَ له. لكنَّهم أَخَذوا يَسْخَرُون مِنْه بَعْدَ حِينٍ، إذ إنَّه أثارَ شَكَّهُم بما كانَ يَذْكُرُهُ مِنْ كمالِ صِفاتِ عَرُوسِهِ. كما غارَتِ النِّساءُ وحَقَدْنَ لِما كانَ يَصِلُهُنَّ من أَخْبارٍ عن تَفوُّقِ ابْنَةِ الضَّبابِ عَليهِنَّ جميعاً جَمالاً وفِتْنَةً!

وفي أَحَدِ الأَيّامِ قالَ له واحِدٌ من أَصدِقائه:

- وأَيْنَ هي هذهِ المرأةُ الكامِلةُ التي تَتَحدَّثُ عَنْها يا «أونوكو»؟ أَرِنا إيّاها ولَوْ مَرَّةً واحِدَةً لنُصَدِّقَكَ!

وشَعَرَ «أونوكو» بأنَّ كرامَتَه قَدْ جُرِحَتْ لأنَّ أَصْحابَه لا يُصَدِّقُونَ حكايَتَه. فماذا يَفْعَلُ ليُتِيحَ لَهُمْ أن يَرَوا ابْنَةَ الضَّبابِ بأَعْيُنِهم؟ إنَّه على يَقِينٍ أَنَّهُمْ سيَعْتَذِرُونَ إليه إذا رَأَوْها، فَيطْلُبُونَ منهُ المَغْفِرَةَ بعدَما أساؤوا إليه بتَكْذِيبِهِ وبشَكِّهِمْ بكَلامِه.

وبَعْدَ تَفْكيرٍ طَويلٍ اهْتَدى إلى حِيلَةٍ ظَنَّ أَنَّها تُحَقِّقُ له ما يُريدُ: فقَدْ رَأى أَنَّ النَّباتَ الذي تُصْنَعُ منْهُ الحُصْرُ كَثيرٌ في بلادِه. إذاً فَلْيَصْنَعْ مِنْ أوراقِ هذا النَّباتِ الطَّويلَةِ حُصْراً، ولْيَضَعْ هذهِ الحُصْرَ على نَوافِذِ كُوخِهِ وبابِهِ، ولْيَسُدَّ بالأَعْشابِ جَميعَ الشُّقُوقِ والثُّقُوبِ

كَي لا يَدْخُلَ النُّورُ إلى الدّاخِلِ . بذَلِكَ لَنْ ترى ابْنَةُ الضَّبابِ نُورَ الشَّمْسِ ساعَةَ الشُّرُوقِ ، ولَنْ تُغادِرَ كُوخَهُ مَعَ الصَّباحِ !..

وهكَذا كانَ !..

* * *

... قَضى «أونوكو» وابْنَةُ الضَّبابِ لَيْلَتَهُما ، كالمُعْتادِ ، في حَديثٍ لَذيذٍ مُمْتِعٍ . ولما أَطَلَّ الفَجْرُ سَمِعَ «أونوكو» مِنَ الخارِجِ صَوْتاً يُنادي :

ـ تَعالَي يا أُخْتاهُ! أَسْرِعِي! لقَدْ حانَ وَقْتُ رَحِيلِنا عن الأَرْضِ !

إِنَّهُ صَوْتُ ابْنَةِ المَطَرِ! لقَدْ نَسِيَ «أونوكو» أَنَّها في الخارِجِ تَنْتَظِرُ طُلُوعَ الفَجْرِ لتَأْخُذَ أُخْتَها مَعَها! لا! لَنْ تَنْجَحَ حِيلَتُهُ!

ولما سَمِعَتِ ابْنَةُ الضَّبابِ نِداءَ شَقِيقَتِها قـامَتْ تَتَهَيَّأُ للذَّهابِ ، وهِيَ لا تَعْلَمُ شيئاً عَنْ حِيلَةِ «أونوكو» . أَرادَ أَنْ يُوْقِفَها فقالَ:

ـ مَهْلاً يا صَدِيقَةُ! شَقِيقَتُكِ أَخْطَأَتِ الحِسابَ ، فالشَّمْسُ لَمْ تُشْرِقْ بَعْدُ. أَتَرَيْنَ نُوراً ؟ لَعَلَّ أُخْتَكِ مَخْدُوعَةٌ بضَوْءِ القَمَرِ أو بنُورِ النُّجومِ ، فاللَّيْلُ ما يَزالُ هُنا !

أَجابَتْهُ ابْنَةُ الضَّبابِ مُسْتَغْرِبَةً :

ـ أمْرٌ غَريبٌ حَقّاً! فأُخْتي لم تُخطِئ يَوْماً!

وهَكذا بَقِيَتِ ابْنَةُ الضَّباب، وقدِ اقْتَنَعَتْ بأَنَّ الصَّوْتَ الذي سَمِعَتْهُ لَمْ يَكُنْ صَوْتَ أُخْتِها. وكانَ الصَّوْتُ يَخِفُّ شَيْئاً فشَيْئاً حتّى تَلاشى تماماً.

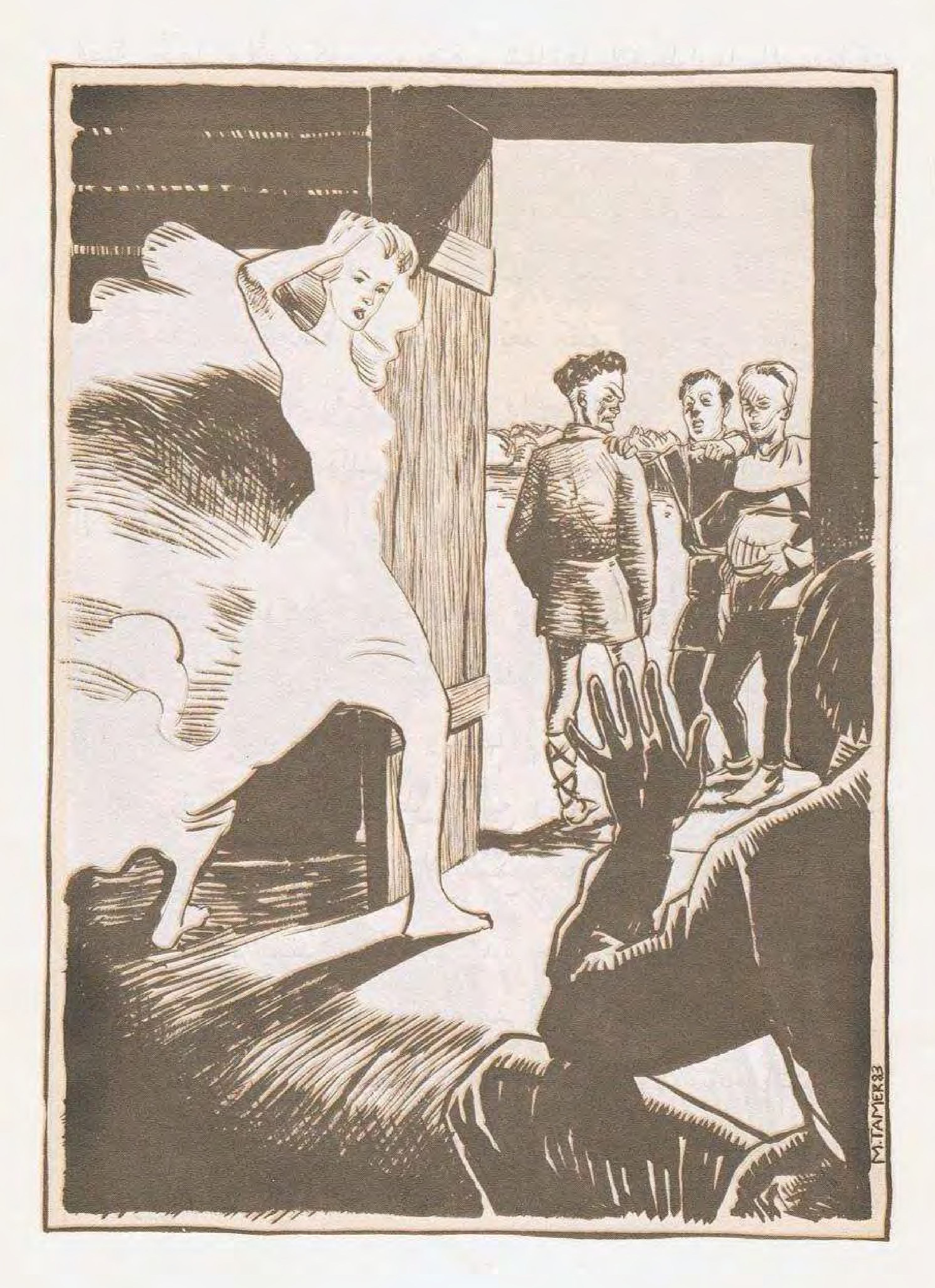
وبَعْدَ قَليلٍ أَخَذَتِ ابْنَةُ الضَّبابِ تَسْمَعُ أَصْواتاً أُخْرى أَشَدَّ وُضُوحاً منَ الصَّوْتِ الأَوّلِ. فقالَتْ:

ـ ألا تَسْمَعُ يا «أونوكو»؟ إِنَّني أَسْمَعُ شَدْوَ العَصافِيرِ، وأَصْواتاً بَشَرِيَّةً!

ولم تَنْتَظِرْ من «أونوكو» جَواباً، بلِ انْدَفَعَتْ نَحْوَ البابِ، وفَتَحَتْهُ على مِصْراعَيْهِ، وانْتَصَبَتْ في نُورِ الصَّباحِ بَشعْرِها الطَّويلِ الرّائِعِ! ورَآها الرِّجالُ الّذينَ كانُوا ذاهِبِيْنَ إلى الصَّيْدِ، فتَوَقَّفُوا مُتَعَجِّبِيْنَ أَمامَ هذا الجمالِ السّاحِرِ. كانَتْ، حَقّاً، أَجْمَلَ مِنْ أَيَّةِ امْرَأَةٍ أُخْرى رَأَوْها في هذهِ الدُّنْيا. فَجمالُها لَيْسَ مِنْ هذهِ الأَرْضِ!

أَمّا «أونوكو» فكانَ يَقِفُ بجانِبِها، وهُوَ يَبْتَسِمُ مُعْجَباً مَزْهُوّاً، لأَنَّهُ عَرَفَ أنَّ الرِّجالَ الّذينَ رَأَوْها سَيَنْقُلونَ الخَبَرَ إلى أَهْلِ القَرْيَةِ. وهَكذا سيُصَدِّقُ الجَميعُ ما كانَ يَرْوِيهِ عن ابْنَةِ الضَّباب!

... وأمّا ابْنَةُ الضَّبابِ فراحَتْ تُغَنّي. كانَ غِناؤُها حَزِيناً، يَرْوِي



قِصَّةَ حُبِّها «لأونوكو»، ويَصِفُ شَقاءَها لاضْطِرارِها إلى مُفارَقَتِه ومُغادَرَةِ دُنْياه.

وفيما كانَتِ ابْنَةُ الضَّباب تُغَنِّي حَدَثَ شَيْءٌ غَرِيبٌ: غَمامَةٌ دَقِيقَةٌ وطَويلَةٌ أَخَذَتْ تَهْبُطُ مِنَ الفَضاءِ بِبُطْءٍ نَحْوَ الفَتاةِ، وتَنْتَشِرُ حَوْلَها، مُلْتَفَّةً عَلَيْها مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حتَّى لم يَعُدْ يَظْهَرُ مِنْها غَيْرُ خَيال. بَيْنَما ظَلَّ صَوْتُها يَنْبَعِثُ رَقِيقاً، عَذْباً، واضِحاً كُلَّ الوُضُوحِ، إلى أن انْتَهَتِ الْأُغْنِيَةُ. بَعْدَ ذلِك عادَتِ الغَمامَةُ تَرْتَفِعُ بِصَمْتٍ، مُنْتَشِرَةً فَوْقَ الأَكْواخِ والـمَنازِلِ، أَعْلى فأَعْلى، ذائِبَةً في ضَوْءِ الشَّمْسِ الذَّهَبِيِّ.

وجَمَدَ «أونوكو» في مَكانِه وهُوَ يُحَدِّقُ في نُورِ الشَّمْسِ السَّاطِعِ. ثُمَّ دَخَلَ إلى كُوخِهِ حَزِيناً، مَكْسُورَ القَلْبِ. وانْتَظَرَ عَوْدَةَ ابْنَةِ الفَضاءِ إليه في المَساءِ، ولكِنَّها لَمْ تَعُدْ! وانْتَظَرَها لَيْلَةً أُخرى، وثالِثَةً ورابِعَةً... وبَقِيَ يَنْتَظِرُ أَسابِيعَ وشُهوراً، وابْنَةُ الضَّبابِ بَعِيدَةٌ عَنْه، لا يَرى لَها وَجْهاً، ولا يَسْمَعُ لَها صَوْتاً!

... وكادَ يَفْقِدُ عَقْلَهُ من شِدَّةِ حُزْنِه. فأَشْفَقَ عَليه أَصْحابُهُ، وراحُوا يُعَزُّونَهُ ويُسَلُّونَهُ. ولكِنَّهُ بَقِيَ على حالِه لا يَتَغَيَّرُ. وأَخِيراً غادَرَ قَرْيَتَه باحِثاً عنْ حَبِيبَتِهِ في كُلِّ مَكانٍ، وهُوَ نادِمٌ أَشَدَّ النَّدَمِ على الحِيْلَةِ التي احْتالَها عَلَيْها لِحَجْبِ نُورِ الصَّباحِ عَنْها، حتَّى تَبْقى مَعَه ويَراها النَّاسُ...



وبَقِيَ يَسيرُ في البِلادِ وهوَ على حالِهِ مِنَ الحُزْنِ والنَّدَمِ. ومن شِدَّةِ حُبِّه لابْنَةِ الضَّبابِ ولَوْعَتِهِ على فِراقِها تَحَوَّلَ إلى قَوْسِ قُزَحٍ، بأَلْوانه السَّبْعَةِ المُشْرِقَةِ، وانْتَشَرَ في الفَضاءِ مُنْتَظِراً حَبيبَتَهُ.

كذَلِكَ لَمْ تُطِقِ ابْنَةُ الفَضاءِ أنْ تَبْقى بَعيدةً عَنْه، فكانَتْ تَعُودُ إلَيْه كُلَّما هَبَطَتْ إلى الأَرْضِ المُبَلَّلَةِ بالأَمْطارِ وعادَتْ مِنْها. فكانَ، وهُوَ قَوْسُ قُزَحٍ، يُطوِّقُها بأَلْوانه السَّبْعَةِ، وهُوَ سَعِيدٌ بلِقائِها، وهيَ سَعيدَةٌ بحُبِّهِ...

وعلى الأَرْضِ كانَ رُفَقـاؤُه يَنْظُرُونَ إلى هذا المَشْهَدِ مُعْجَبِينَ، مَسْرُورِينَ!


M.TAMER83

الأسئلة

١ - وزّة الرِّيش الذهب

١ - لماذا كان الأخَوان يسخران من أخيهما الأصغر؟ وهل كان الوالدان يتصرَّفان مثلهما؟ على ماذا يدلُّك ذلك؟

٢ - كيف كان تصرُّف الأخ الأكبر مع الرجل الصغير، الأبيض الشعر؟ وكيف كان قصاصه؟

٣ - هل اختلف تصرُّف الشابّ الثاني عن تصرُّف أخيه الأكبر مع الرجل الأشيب؟ وما كانت نتيجة هذا التصرّف؟

٤ - كيف ظهرت لك طيبة الأخ الأصغر حين لقيه الرجُل الأشيب؟ كيف كوفىء على تصرُّفه؟

٥ - ما كان جزاء الأخَوات الثّلاث لـمّا حاولْن انتزاع الرِّيش من الإوَزّة؟

٦ - كيف علق الرجال الأربعة وانجذبوا مع الإوزّة في الطريق؟

٧ - ما الذي أضحك ابنة الحاكم؟ وهل وفى والدها بوعده في بادىء الأمر؟

٨ - ما هي الحيل الثّلاث التي لجأ إليها الحاكم لإبعاد الشابّ عن ابنته؟ وهل نجح فيها؟ كيف؟

٩ - إلى ماذا يرمز كلٌّ من: الإوزّة السحريّة - الرجل الصغير - الفتيات الثلاث؟

١٠ - فتّش في القاموس الأبجدي «رائد الطلاّب» عن الكلمات التالية الواردةِ في القصّة واكتبْها مع معانيها على دفتر خاصّ: الـمُغَفَّل - الزّاد - أروى عطشه - الجُرْعَة - الأشْيَب - تجود (أنظر: جاد) - أصنافه (أنظر: الصّنف) - الجِذْع - الفُنْدُق - إلتصق - مُستغيثاً (أنظر: إستغاث) - الـمَوْكِب.

١١ - أكتب على دفترك الكلمات التالية مع الشروح التي معها:

- حيّاه: سَلَّم عليه، ألقى عليه التحيّة.

- ظامىء: عطشان.

- الآبار: مفردها «البئـر»، وهي حفرة في الأرض يُجمَع فيها الماء.
- رخيَّة: ناعمة.

٢ - قوس قزح

١ - إلى أين كان «اونوكو» يذهب عند حلول الظَّلام؟ ماذا كان يفعل؟ وماذا رأى في إحدى نزهاته؟

٢ - ما هو الحديث الذي جرى بين «أونوكو» وابنةِ الضَّباب؟ وعلى ماذا تمّ اتّفاقهما؟

٣ - بماذا كان «أونوكو» يحدِّث أصحابه؟ وهل صدَّقوه؟ وكيف كان موقف النِّساء؟ لماذا؟

٤ - ما الذي جعل «أونوكو» يفكِّر بإظهار ابنة الضَّباب أمام أعين الناس؟

٥ - ما هي الحيلة التي لجأ إليها «أونوكو» ليُبْقِي ابنة الضَّباب عنده بعد طلوع الصَّباح؟

٦ - ما هي الأصوات التي نبَّهت ابنة الضَّباب إلى طلوع الفَجْر؟ وماذا فعلت ابنة الضَّباب لـمّا سمعتْها؟

٧ - لماذا وقف «أونوكو» سعيداً، مزهوّاً، أمام ابنة الضباب حين فتحت باب كوخه لتخرج؟

٨ - هل عادت ابنة الضباب إلى «أونوكو» بعد ذهابها؟ وكيف كانت حاله بعدها؟

٩ - لماذا ندم «أونوكو» على حيلته؟ وماذا فعل بعدما اشتدّ به الحزنُ والنَّدَم؟

١٠ - لماذا تحوَّل «أونوكو» إلى قوس قزح؟ وكيف عاد بعد ذلك إلى الاجتماع بابنة الضَّباب؟

١١ - فتِّش في القاموس الأبجديّ «رائد الطلاَّب» عن الكلمات التالية الواردة في القصة، واكتبها مع معانيها على دفتر خاصّ: الصَّخَب - الضَّباب - القَوام - شَدْو (أنظرْ: شدا) - السمَر - إهتدى - الحُصْر (أنظرْ: الحَصِير) - حانَ - تلاشى - الغَمامة - اللَّوْعَة - قَوْس قُزَح.

١٢ - أكتب على دفترك الكلمات التالية مع الشُّروح التي معها:

- خالَجه: داخَلَه، خالَطَه، شعر به.
- مُتَجرِّئاً: مُتَصرِّفاً بجرأة وشجاعة.
- مُدَلَّى: مُرْسَل إلى أسفل. مثلاً: «وعاء مدلَّى في البئر».
- أقرانه: مفردُها «القِرْن»، وهو مَن كان مثلك في العلم أو الشجاعة أو غيرهما. وتعني هنا: الصديق، الرفيق.
- على مِصْراعَيه: مفتوحاً فتحاً كاملاً (والمِصْراع هو أحد جُزْئَي الباب).

محتوى الكتاب

الصفحة

وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب في
يوم ٣١ آذار (مارس) ١٩٨٣
على مطابع دار غنـدور ش.م.م.
بـيروت

١٧٦ / ٣ - ١٩٨٣

منشوراتنا القصصية

١ يا بياع السمسمية
٢ أبو الخيمة الزرقاء
٣ حدثني يا ابي
٤ اسرى الغابة
٥ ملح ودموع
٦ يوم عاد ابي
٧ صندوق أم محفوظ
٨ جدتي
٩ عنب تشرين
١٠ عازفة الكمان
١١ وكان مازن ينادي
١٢ كانت هناك امرأة
١٣ يوم غضبت صور
١٤ بابا مبروك
١٥ الأنامل السحرية
١٦ المغني الكبير
١٧ جلجامش
١٨ نور النهار
١٩ النسر الكريم
٢٠ رنين الخناجر
٢١ النجمتان
٢٢ اين العروس
٢٣ جزيرة الوهم
٢٤ الغرفة السرية
٢٥ النار الخفية
٢٦ الحاج بجبج
٢٧ جوهرة الجواهر
٢٨ دهليز الغرائب
٢٩ التجاريب
٣٠ الصحائف السود
٣١ سلسلة من حكايات بيدبا
٣٢ كوب من العصير
٣٣ المنجّم « عصفور »
٣٤ مغامرات أوليس
٣٥ وطلع الصباح
٣٦ اسطورة البحر
٣٧ الشريط المخملي
٣٨ سهايا
٣٩ الشكبون
٤٠ الحب والربيع
٤١ غرباء
٤٢ خاتم . . . لبَّيك !
٤٣ وزَّة الريش الذَّهب

الثمن ٦٠٠ ق.ل